﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠﴾ [غافر: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

من عـادات القرآن المعاقبةُ بين الترغيب والترهيب

لمّا ذكرَ اللّهُ تعالى الذين آمنوا، وسرورَهم باجتماعِهم بالمقرَّبين من أهليهم، وبيَّن صفاتِهم التي أهَّلتهم للفوز العظيم المقتضي رضا الله عنهم؛ تشوَّفَتِ النَّفسُ إلى معرفةِ ما لأضدادهم الأشقياء مِنَ الكافرين، كما هي عادة القرآن من تشفيع التَّرغيبِ بذكرِ شيءٍ مِن أحوال المؤمنين يوم القيامة بالتَّرهيبِ، بذكر شيءٍ مِن أحوال الكافرين ذلك اليوم، فقال مستأنفًا مؤكِّدًا لإنكارهم هذهِ المناداةَ بإنكار يومها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾[1].

وأيضًا لمّا ذكرَ المؤمنين واشتهار فرحهم وسرورهم بين الملائكة؛ ناسب أن يُعقِبَهُ ذِكر الكافرين واشتهار ذلّتهم ومهانتهم بين الأشهاد يوم القيامة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَمَقۡتُ﴾: أصلُ (مقت) يَدُلُّ على شناءةٍ وقُبْحٍ[2]، والمَقْتُ: البُغضُ الشَّديد لمن تراه تعاطى القَبيح[3]، وهو أخصُّ مِن البُغض[4]، واسم المفعول منه المقيتُ أو الممقوتُ، ونِكاح المَقْتِ كان في الجاهليَّة أن يتزوَّج الرَّجُلُ امرأةَ أبيه لشدَّة بغضِهِ في الفطرةِ، ولِما في ذلك

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 240، والبقاعي، نظم الدرر: 17/ 17، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 268.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مقت).

(3) الخليل، العين، والراغب، المفردات: (مقت).

(4) السمين، عمدة الحفاظ: (مقت).

الزَّواج مِنَ الإمساك في الذِّمَّة على وجه غليظٍ مستقبحٍ[1]، والمُراد بالمَقْتِ في الآية: شِدَّةُ البُغْضِ.

2) ﴿تُدْعَوْنَ﴾: (دعو) أصلٌ واحدٌ، وهو أنْ تُميلَ الشَّيءَ إليكَ بصوتٍ وكلامٍ يكونُ منكَ، تقولُ: دعَوتُ أدعو دُعاءً[2]، واستجاب اللّه دعاءَهُ ودَعوته[3]، والدَّعوة: هي الوليمةُ، والدُّعاة: قومٌ يَدْعون إلَى بَيْعةِ هدًى أو ضَلالَة، واحدهم داعٍ، ورجل داعيَة؛ إذا كانَ يدعو النّاس إلى بِدعة أو دين، أُدخِلت الهاء فيه للمُبالَغة[4]، والدَّعوى: الادِّعاءُ[5]، وهي أيضًا: الدُّعاء[6]، والمقصودُ بالدَّعوة في الآية: القولُ الدّالُّ على طلَبِ عمَلٍ من المُخاطَبِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مقتُ الكافرِ العظيم يوم العذابِ العظيم

تُبيِّنُ الآيةُ الكريمةُ ما يُقالُ للكافِرينَ، وهم يُعذَّبونَ في النّار، فيُنادى فيهم: لَبُغْضُ اللّهِ الشَّديدُ لكم في الدُّنيا حينَ كُنتُم تُدْعَونَ فيها إلى الإيمانِ، فتَكفُرونَ، أعظَمُ مِن بُغضِكم الشَّديدِ اليَومَ لأنفُسِكم[7]، وهذه المقارنةُ لبيان لطفِ اللّه لهم في الدُّنيا، وشديد عذابِهِ يوم القيامةِ، الَّذي يُلحق بأصحاب النّار النَّدم الشَّديد، وذكر هذا النِّداء لترهيب الكافرين، وحثِّهم على سرعة النَّدم قبل مجيء يوم الحسرة.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئناف البيانيّ:

بيانُ رحمةِ الملائكة بالمؤمنين وإهمالهم للكافرين

جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (مقت).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دعو).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (دعو).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (دعا - دعو).
(5) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (دعا).
(6) الراغب، المفردات: (دعا).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 288، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 132، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 733.

مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ مفصولًا عن السّابق؛ ليكون على طريق الاستئناف البيانيِّ[1]؛ تعظيمًا لخطر ما يكون عليه أهل الكفر والضَّلال، فيكون الكلام جوابًا لسؤالٍ، تقديره: إذا كان حالُ الملائكة مع المؤمنين هو الدُّعاء لهم، فكيف يكون حالُهم مع الكافرين؟ فأجيب بقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، ففيه استدرارٌ لأسماعِ المخاطَبين، وتنبيهٌ لعظم الهول الَّذي يصيب الَّذين كفروا والذِّلَّة الَّتي تعتريهم، والمهانة الَّتي يكونون عليها، ففيه بيانُ حال الملائكة مع الكافرين.

فائدةُ تأكيدِ صدر الآية:

تفيدُ ﴿إِنَّ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تأكيدَ مضمون الجملةِ وتحقيقها، بمعنى: إنَّ هذا النِّداء للكافرين واقع - لامحالةَ - وهو تحقيقٌ لما قد يشكُّ فيه شاكٌّ.

مناسبةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول وصلته:

الكفرُ بالله أصلُ البلاء وعلَّة النّداء

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاسم الموصول دون الظّاهر في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ﴾؛ للإيماء إلى وجهِ بناء الخبر، بمعنى: إنَّ كفرَهم هو سبب ندائِهم النِّداء المذكور، وسبب إهانتِهم وذلِّهم يوم القيامة، وفيه لطيفةٌ أخرى، وهي أنَّهم ينادَون بوسمِ الكفرِ، ففيه مِنَ الخِزي والنَّدامة على الكافرين ما فيه.

نكتةُ حذف متعلَّق الفعل:

الكفرُ الموجبُ لدخولِ النّار أعمُّ من أن يُذكر

حُذِف متعلَّق فعل ﴿كَفَرُواْ﴾، فلم يقل: (كفروا باللهِ، أو كفروا باللهِ ورسلِهِ، أو كفروا باليوم الآخر)؛ وذلك لبيانِ عمومِ كفرِهم بكلِّ ما يقود الكفر به إلى النّار، ولإفادة أنَّ مَن كفرَ بواحدٍ ممّا يجب

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 17.

الإيمانُ به؛ فقد كفر بالجميع، كما يُفيد حذفُ المتعلَّق أنَّ الكفرَ صار سجيَّةً يُعرَفون به، وللإيماءِ إلى أنَّ الَّذين كفروا هم قومٌ معهودو الصِّفات، معروفو السِّمات.

غرضُ تقديم المسند إليه على المسندِ الفعلي:

قُدِّم ذكرُ المسندِ إليه ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على المسند الفعليِّ ﴿يُنَادَوْنَ﴾؛ لإفادةِ تقوّي الحكمِ وتحقيقِهِ، ولتقرير مضمونِهِ.

نكتةُ استعمال مفردة النِّداء:

نـــداءُ الـكـفّـار افـتـضـاحٌ بما تُخفيه النُّفوس

لمّا كان النِّداء بمعنى الدُّعاء بأعلى صوتٍ؛ أفاد التَّعبير بلفظ ﴿يُنَادَوْنَ﴾ أنَّهم يُنادى عليهم بصوتٍ عالٍ مرتفعٍ، بمعنى أنَّهم يُصاحُ بهم أمامَ المَلَأ يوم القيامةِ؛ ليُفضَحوا على رؤوس الخلائقِ، فيكونَ أعظمَ في توبيخهم وإهانتِهم، ولمّا كان النِّداءُ يقتضي بُعدَ المنادَى عنِ المنادي حسًّا أو معنًى؛ أفاد لفظ ﴿يُنَادَوْنَ﴾ بُعدَهم عن الحقِّ بسبب كفرِهم.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغة المبني للمفعول:

جاء التَّعبيرُ بصيغة المبني للمفعول في فعل ﴿يُنَادَوْنَ﴾؛ لعدم الاعتناءِ بتعيين الفاعلِ، وللإشعار بهول النِّداء؛ فإنَّ إبهامَ المنادي يزيد مِن هول الموقف.

نوعُ اللام ودلالتُها:

مقتُ الكافرين يلفُّ الكافرين مِـنَ الأنـفـسِ والخارج

تحتمل اللّام في قوله تعالى: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أن تكونَ لامَ الابتداء المُفيدة للتَّأكيد والتَّقرير، بمعنى: أنَّ المقت لاحقٌ بهم - لا محالةَ - ولمّا كان النِّداء بمعنى القول؛ كان التَّقدير: يُنادون مقولًا لهم: لمقتُ الله أكبرُ من مقتِكم أنفسَكم، أو يُنادون، فيُقال لهم: لمقتُ الله أكبر[1]، وتحتمل أن تكونَ لامَ القسم، فتفيد التَّأكيد وتحقُّق

(1) الأخفش، معاني القرآن: 2/ 499، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 303.

الوقوع[1]، وعلى الوجهين يكون قد جمعَ عليهم المقتَ بالحالِ والمقال، أي: بما يكون عليه حالُهم يوم القيامة، وبالقول الَّذي يكون على رؤوس الأشهاد.

نكتةُ إضافة لفظ المقت إلى لفظ الجلالة:

مقتُ الله ليس كمقتِ آخر

أُضيف لفظُ المقتِ إلى لفظ الجلالة في قولِه تعالى: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾، وهو من إضافة المصدر لفاعلِه، فأفادتِ الإضافةُ تعظيمَ مقتِ الله تعالى وتفخيمه؛ ترهيبًا للمخاطَبين وتوبيخًا لهم، فإنَّ مَن يلحقُهُ مقتُ الله تعالى، لا ناصر ولا وليَّ له.

نكتةُ حذفِ متعلِّق المقت:

مقتُ الله تعالى عـمَّ جـمـيـعَ أحوالِ الكافرين وأعـمـالِـهـم بسبب كفرِهم

لمّا كان لفظُ المقت في قولِه تعالى: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ مصدرًا يعمل عملَ فعلِه المتعدّي؛ دلَّ على أنَّ متعلِّقه محذوفٌ، وحُذِف لإفادة العموم، وتقدير الكلام: مقتَ اللهُ عملَكم، أو مقتَ اللهُ كفرَكم؛ ليُفيد أنَّ مقتَهُ تعالى عمَّ جميعَ أحوالِهم وأعمالِهم، أي: إنَّ الله تعالى قد مقتَ كلَّ شيءٍ فيهم حتَّى أنفسَهم، ويحتمل أن يُقال في تقدير الكلام: مقتُ اللهِ أنفسَكم أكبرُ من مقتكم أنفسَكم، فاستغنى بذكرِها مرَّةً[2]، فحذف من الأوَّل بدلالة الثّاني عليه للإيجاز، ولبلاغة النَّظم في الكلام، فإنَّ تكرار الأنفس في مثل هذا الموضع غير لائق بالنَّظم، وإنَّما ذكر الأنفس مع مقت الكافرين للتَّسجيل عليهم بالاعتراف باستحقاقِهم العذابَ.

دلالةُ التَّعبيرِ المجازيِّ في إضافة لفظ المقتِ إلى الله:

أعظمُ الخسارة نزولُ غضب الله وارتفاع الرَّحمة

المرادُ بالمقتِ في قولِه تعالى: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾: أشدُّ البغضِ، وهو مجاز مرسلٌ أطلق على المعاملة بآثار البغض من التَّحقير والعقاب، فهو أقربُ إلى حقيقة البُغضِ؛ لأنَّ المرادَ به أثره، وهو المعاملةُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 359، وابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 4/ 549، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 95.

(2) الشربيني، السراج المنير: 3/ 472.

بالنَّكال، وهو شائع شيوعَ نظائرِه، ممّا يُضاف إلى الله ممّا تستحيل حقيقتُهُ عليه[1]، ويحتمل أن يكونَ المرادُ مِنَ المقت ظاهره، والمعنى الإبعاد على جهة الغضبِ، وعلى الوجهين؛ فإنَّ التَّعبيرَ بمقتِ اللهِ إيّاهم هو أعظمُ العقابِ عند أولي الألباب؛ لأنَّ مَن عَلِمَ أنَّ مولاه غضبانُ عليه؛ عَلِم أنَّه لا ينفعه بكاءٌ، ولا تُغني عنه شفاعةٌ ولا حيلة له في خلاصه أبدًا[2].

لطيفةُ اقترانِ النِّداء بالمقت:

الائتلافُ بين المفردات تعانقٌ في المعنى وارتباطٌ في الدَّلالة

في قوله تعالى: ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ مناسبةٌ لطيفةٌ في اقترانِ النِّداء بالمقت، فالنِّداء يفيد بُعد المنادى، والمقتُ يقتضي الإبعاد على جهة البُغض وشدَّة الغضب، فالكافرُ بعيدٌ عنِ الله بعيدٌ عنِ الملائكة بعيدٌ عن المؤمنين، فناسب نداءَهُ لبعدِه في الحسِّ والمعنى، وهذا مِن مناسبات اقترانِ الكلمة بأختها في السّياق؛ ولهذا لم يقل: (إنَّ الذين كفروا يقال لهم: لمقتُ اللهِ أكبرُ مِن مقتِكم أنفسَكم).

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿أَكْبَرُ﴾ مادَّةً وصيغة:

مقتُ الكافرين شعورٌ باطنيٌّ ومقتُ الله عذابٌ سرمديٌّ

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة ﴿أَكْبَرُ﴾ دون رديفَيها مِن مثل أعظم وأشد؛ لأنَّ المقتَ الَّذي هو أشدُّ البغضِ من قبيل المعاني، وغلب استعمالُ أكبرَ في الأعيان المحسوسة، فكان ذلك من باب تصويرِ حجم المقتِ وفظاعتِه، والمرادُ لمقتُ اللهِ أشدُّ وأكثر وأخطرُ في الأثرِ؛ فإنَّ مقتَ الكافرين أنفسَهم مقتصرٌ على الغيظ الدّاخلي، أمّا آثارُ مقتِ الله تعالى؛ فهي أعظمُ في أثرها في العقاب والحساب والجزاء، وهذه أمورٌ مشاهدةٌ محسوسة، فمقتُ الكافرين لا يُرى، وإنَّما يشعرُ به الكافر، وأمّا مقتُ الله فإنَّ آثارَهُ سيراها الكافرون في أبدانهم وأنفسِهم يوم القيامةِ، وعليه فالكِبَرُ هنا مقابلة بين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 96.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 18.

ما يُرى وما لا يُرى آثاره، كما أفادَ أنَّهم مهما مقتوا أنفسَهم يوم القيامة إشعارًا بندمِهم؛ فإنَّ هذا المقتَ لن ينفعَهُم؛ لأنَّ مقتَ اللهِ أشدُّ وأنكى من مقتِهم أنفسَهم[1].

لفظُ المقتِ في ﴿مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بين الحقيقة والمجاز:

مقتُ الكافرين أنفسَهم يلحقهم في الدُّنيا والآخرةِ

إن كان المرادُ من قوله تعالى: ﴿مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: لمقتُ اللهِ في الدُّنيا أعمالَكم وكفرَكم أكبرُ من مقتِكم أنفسَكم، وأنتم في النّار تعاينون العذاب[2]؛ كان لفظُ المقت على الحقيقة؛ لأنَّهم يمقتون أنفسَهم ويمقت بعضُهم بعضًا، فيكون زمانُ مقتِ اللهِ في الدُّنيا وزمان مقتهم أنفسَهم في الآخرة، وإن كان المرادُ: لمقتُ اللهِ أعمالَكم وكفرَكم أكبرُ من مقتِكم أنفسَكم في الدُّنيا، بمعنى: كان مَقْتُ اللهِ لكم وقتَ كفركم أكبرَ من بُغْضِكم أنفسَكم حينئذٍ، فيكون زمانُ المقتين واحدًا؛ كان المقت على المجاز بطريق الاستعارة، بمعنى: أنَّهم "فعلوا لأنفُسِهم ما يُشبِهُ المَقْتَ؛ إذ حَرَموها من فَضيلَةِ الإيمانِ ومَحاسِنِ شَرائِعِهِ، ورَضوا لِأنفُسِهم دينَ الكُفرِ بَعدَ أن أوقِظوا عَلى ما فيهِ من ضَلالٍ ومَغَبَّةِ سوءٍ، فَكانَ فِعْلُهُم ذَلِكَ شَبيهًا بِفِعلِ المَرْءِ لِبَغيضِهِ مِنَ الضُّرِّ والكَيْدِ، وهَذا كَما يُقالُ: فُلانٌ عَدوُّ نَفسِهِ، فالمَقْتُ مُستَعارٌ لِقِلَّةِ التَّدَبُّرِ فيما يَضُرُّ، وقَد أشارَ إلى وجهِ هذِهِ الاستِعارَةِ قَولُهُ: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾، فَمَناطُ الكَلامِ هوَ ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾"[3]، والمعنى: أنَّكم بتَرْكِ الإيمان فعلتُم بأنفسِكم فِعْلَ الأعداء[4].

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظ الأنفس بين الحقيقة والمجاز:

مقتُ الكافرِ يلحقُ نفسَهُ وغيرَهُ في الدُّنيا والآخرة

الظّاهر أنَّ المرادَ من لفظ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ هو عينُ الأنفس،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 96.
(2) البغوي، معالم التنزيل: 4/ 108، والزمخشري، الكشاف: 4/ 154.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 95.
(4) أبو حفص النّسفي، التيسير في التفسير: 13/ 92.

بمعنى: أنَّهم مقتوا أنفسَهم الأمّارة بالسّوء؛ لِما كان من عصيانِهم وكفرِهم، ويحتمل أن يكون اللَّفظُ على المجاز بأن يكونَ المرادُ من ﴿مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: مقتَ بعضِكم بعضًا، أي: لمقتُ اللّهِ أكبرُ مِن مقت بعضِكم بعضًا، فالأتباع يشتدُّ مقتُهم للرُّؤساءِ الَّذين يدعونهم إلى الكفر في الدُّنيا، والرُّؤساء كذلك يشتدُّ مقتهم للأتباع، فعبَّر عن مقتِ بعضِهم بعضًا بأنَّهم مقتوا أنفسَهم، ومثله في المجاز قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النّساء: 29]، وقولُه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ﴾ [النّور: 61]؛ ليفيدَ أنَّ شدَّة قربِ بعضِ الكافرين من بعضٍ في الدُّنيا لم ينفعهم، ولم يأتِ منه سوى بغضِ بعضِهم لبعضٍ أشدَّ البغض ولعن بعضِهم بعضًا، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: 25]، وإنَّما احتمل هذين الوجهين؛ لأنَّ المنع لهم من طاعةِ اللّه تعالى واتِّباع أمره ونهيه، يكون بأنفسهم، ويكون من بعضِهم بعضًا؛ فيكون محتملًا لكلا الوجهين[1]، ولا يمتنع حملُ اللَّفظ على الحقيقة والمجاز معًا، فيكونُ المرادُ هو الوجهين معًا، وهذا أوسع دلالةً، ولا مانع منه على التَّحقيق.

وقعتِ المفاضلةُ بين مقتين مقتِ اللـه تعالى ومقتِ الجاني على نفسِه

التَّوجيه النَّحوي للفظ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾:

الظّاهر أنَّ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ في قوله: ﴿مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ مفعولٌ به منصوب بالمصدر ﴿مَّقْتِكُمْ﴾[2]، والتَّقديرُ: لمقتُ اللّه أكبرُ من أن تمقتوا أنفسَكم، وذهب ابن عاشور إلى أنَّ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ يتنازعه المصدران ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ و﴿مَّقْتِكُمْ﴾، فهو مفعولُ المصدرين المضافين إلى فاعلِهما[3]، وهذا القولُ ضعيف بحسب قواعد

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 10، والزّمخشري، الكشاف: 13/ 472، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 268.

(2) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 2/ 1116.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 96.

النَّحو لتمام الكلام عند قولهِ تعالى: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ بالإخبار عنه بقوله: ﴿أَكْبَرُ﴾، ولعلَّ ابن عاشور ذهبَ إلى هذا القول بناءً على ما أشار إليه الخطيب الشَّربيني في قولِه في تقدير الكلام: لمقتُ اللّه لأنفسكم أكبرُ: ﴿مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، فاستغنى بذكرها مرَّةً[1]، وهو تفسيرُ معنًى لا تفسيرُ إعرابٍ، وهو وإن كان صحيحًا في الجملةِ، إلّا أنَّ حمْلَ الكلامِ على أن يكون العامل في ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ هو ﴿مَّقْتِكُمْ﴾ هو الصَّحيح، وذلك لوجود المفاضلة بين مقتَين.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمصدر الصَّريح دون المؤوَّل:

مقتُ الكافرين أنفسهم ثابتٌ دائمٌ

جاء التَّعبيرُ بالمصدر الصَّريح دون المؤوَّل في قوله تعالى: ﴿مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ فلم يقل: (أكبرُ مِن أن تمقتوا أنفسَكم)؛ لبيانِ أنَّ مقتَهم الَّذي كان في الدُّنيا ما زال قائمًا في الآخرة، أو أسباب مقتهم في الدُّنيا قد صاحبتهم في الآخرة، فمقتوا أنفسَهم، فالمصدر أوضحُ دلالةً على الثَّبات والدَّوام من الفعل، وفيه مزيدُ ترهيبٍ ووعيد.

نكتةُ التَّقييد بظرف الزَّمان ﴿إِذْ﴾:

علَّةُ المقتِ الإلهيِّ العنادُ على الكفرِ بعد إقامةِ أدلَّة الإيمان

لمّا كان ظرفُ الزَّمان ﴿إِذْ﴾ يفيد معنى التَّعليل لَما بينَ الظَّرفِ والسَّببِ مِن علاقةِ اللُّزوم؛ كان استعمالُ ﴿إِذْ﴾ يفيد معنى الظَّرفيَّة والتَّعليل للمصدر ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾، والمعنى: لمقتُ اللّه عملَكم وكفركم وأنفسَكم في الدُّنيا وقتَ أن دُعيتم إلى الإيمان، فكفرتم، أكبرُ مِنْ مقتكم أنفسَكم يوم القيامة[2]، فأفاد ﴿إِذْ﴾ أنَّ وقتَ مقتِ اللّه هو وقتُ دعائِهم إلى الإيمان، وأنَّ سببَ مقتِ اللّه لهم هو عدمُ قَبولِهم الإيمانَ والاستمرار على كفرِهم، وذهب بعضُ المفسِّرين والنُّحاة إلى أنَّ ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ متعلِّقٌ بفعلٍ مضمرٍ دلَّ على المقت الأوَّل، ولا يكون

(1) الشربيني، السراج المنير: 3/ 472.
(2) الزمخشري، الكشاف: 13/ 472، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 268.

المقت الأوَّل ظرفًا له لوقوع الخبر ﴿أَكْبَرُ﴾ فاصلًا بينهما، والمصدر لا يُفصل بينه وبين معمولِهِ بالخبر، والتقدير: مقتَكُمُ اللّه؛ إذ تُدعون إلى الإيمان، فتكفرون، ويحتمل أن يكون ﴿إِذْ﴾ ظرفًا للمقت الثّاني، فيكون ظرفُ المقتين واحدًا، وهو الدُّنيا، ويكون مقتهم أنفسَهم في الدُّنيا على المجاز، كما تقدَّم.

نكتةُ الإيماءِ باستعمال مفردة الدَّعوة:

من قَبِل دعوةَ الرُّسل لحقَهُ دعاءُ الملائكة ومَن أبى؛ لحقَهُ مقتُ الله

استعمل النَّظم الكريم لفظَ ﴿تُدْعَوْنَ﴾؛ للإشعار بأنَّ ما يقدِّمه الأنبياء للنّاس هو خيرٌ ومنفعةٌ لهم، كما يُفيد قربَ الأنبياء منهم حين دعائِهم، وأنَّ الدَّعوة وصلت إليهم، فالدَّعوة هي إيصال المقصود بالحكم للمدعوِّ، وناسب هذا اللَّفظ على طريق الإيماءِ ما جاء في السّياق مِن ذِكر دُعاء الملائكة للمؤمنين، فإنَّ الذي قَبِل دعوةَ الرُّسل، فإنَّ دعوةَ الملائكة تلحقُهُ، ومَن أبى، فإنَّ مقتَ اللّه يلحقه.

نكتةُ التَّعبير بصيغة المضارع:

الدُّعاةُ يؤثرون مواصلة الدَّعوة دون الانقطاع

جاء التَّعبيرُ بصيغة المضارعِ في الفعلين: ﴿تُدْعَوْنَ﴾ و﴿فَتَكْفُرُونَ﴾؛ للإشارةِ إلى تصوير الاستمرارِ التَّجدُّديِّ، كأنَّه قيل: لمقتُ اللّه تعالى أنفسَكم أكبرُ مِن مقتِكم إيّاها؛ لأنَّكم دعيتم مرَّةً بعد مرَّةٍ إلى الإيمان، فتكرَّرَ منكم الكفرُ[1]، ففيه دلالةٌ على تكرُّر دعوتِهم إلى الإيمان وتكرُّر كفرِهم، وتجدُّده، كما أنَّ صيغةَ المضارع أفادت عن طريق الإيماء الحثَّ على تَكرار الدَّعوة إلى الإيمان وعدم الاكتفاء بمرَّة واحدةٍ من قِبَل الدُّعاة إلى دين اللّه تعالى.

نكتةُ التَّعبير بصيغة المبني للمفعول:

جاء التَّعبيرُ بصيغة المبني للمفعول في الفعل: ﴿تُدْعَوْنَ﴾؛ للإشارة إلى تعدُّد الدُّعاة من الرُّسل ﷺ ومِن عموم المؤمنين، وأنَّهم

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 304، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 95.

مع تعدُّد الدُّعاة إلى الإيمان بالله كانوا يكفرون، كما أنَّ في التَّعبير بصيغة المبني للمفعول إشارةً إلى أنَّ الإيمانَ لظهور دلائله ينبغي أن يُقبل من أيِّ داعٍ كان[1]، مع ملاحظة أنَّ الدّاعي إلى الله تعالى معلومٌ، وهو رسولُ الله ﷺ، وجميع الدُّعاة على نهجِه سائرون[2].

الدُّعاةُ المقبولةُ دعوتهم في الحجَّة هم الملتزمون بنهج النُّبوَّة

دلالةُ تعديةِ فعل الدَّعوة بحرف ﴿إِلَىٰ﴾:

عُدّيَ فعلُ ﴿تُدۡعَوۡنَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ بحرفِ ﴿إِلَىٰ﴾؛ للإيذان بأنَّ المرادَ الدَّعوة إلى الإيمان، والحثُّ على قصدِه على سبيل جرِّهم إليه بالكلام والموعظة الحسنة، ولمّا كان حرف الجرِّ (إلى) لانتهاء الغاية؛ أفادَ أنَّ منتهى دعوتِهم وغاية أملِهم ورجائِهم هو إيمان القوم.

غايةُ دعوةِ المؤمنين تنتهي إلى دائرةِ الإيمان

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلۡإِيمَٰنِ﴾:

(أل) في قولِه تعالى: ﴿ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ للعهدِ، فهو الإيمانُ المعهود في القرآن، وهو الإيمانُ بالله تعالى وبرسلِه، بقرينة مقابلتِه بقوله: ﴿فَتَكۡفُرُونَ﴾.

بديع المقابلة:

أفادت المقابلةُ على طريق التَّضادِّ في لفظَي ﴿ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ و﴿فَتَكۡفُرُونَ﴾ الإشارةَ إلى شديد باطل الكافرين، وكبير حماقتهم، فحالُهم كحال من يُدعى إلى الخيرِ الوفيرِ، والنَّعيم المقيم، فيختار البؤسَ والشَّقاء، والمقابلة أظهرت الفرقَ بين حالي الإيمانِ والكفر من حيثُ السَّبقُ بذكر المآل.

الكشفُ عن حماقة الكافر باختيار الشَّقاء الدائم على النَّعيم السَّرمدي

نوعُ الفاء وفائدتها:

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَتَكۡفُرُونَ﴾ للتَّفريع، وهي تفيد أنَّهم أعقبوا الدَّعوة إلى الإيمان بتجديد كفرِهم السّابق وتمسُّكهم به وبإعلانِهم به دون أن يتمهَّلوا بالنَّظر والتَّدبُّر فيما دُعوا إليه، ففيه

تحملُ الفاء معنى المفاجأة بحسب السّياق

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 96.

إشعارٌ بأنَّهم لم يُعملوا عقولَهم عنادًا وتكبُّرًا[1]، ويُلمح في الفاء معنى المفاجأة والإنكار، أي: بعد أن أُقيمت عليكم الحُجَّة، وبُيِّنت لكم المحجَّة، كفرتم بالله تعالى؟.

نكتةُ حذف متعلِّق الكفر:

حُذِفَ متعلِّقُ فعل: ﴿فَتَكۡفُرُونَ﴾؛ للإشعار بأنَّ الكفرَ صار وصفًا لازمًا وسجيَّةً لهم، كما يحتمل أن يكونَ حذْفُ المتعلِّق لإفادة عموم كفرِهم، أي: فتكفرونَ بالله وبرسولِهِ وبكتبِه وباليوم الآخر.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

النِّداء والدُّعاء:

النِّداء هوَ رفع الصَّوْت بِما لَهُ معنى، والدُّعاء يكون بِرَفْع الصَّوْت وخفضه، يُقال: دَعوته مِن بعيد، ودعوت الله في نَفسي، ولا يُقال: ناديته في نَفسي، وقد يكون الدُّعاء بغير صوتٍ بأن يكون بإشارة، والدُّعاء هو طلب الفعل والإقبال إليه، وفيه معنى الاستمالة، ومنه تداعى البناء، أي: يَدْعو بعضه بَعْضًا إلَى السُّقوط[2]، ولهذا استعمل النِّداء في معرض الإشهار والإظهار، وبُعدهم عن الحقِّ، فقال تعالى: ﴿يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾، ولأنَّه من أعلى إلى أدنى، وأمّا الدُّعاء؛ فهو ما يدعو به المسلم ربَّهُ، وهو مِن أدنى إلى أعلى.

النِّداءُ برفع الصَّوت مع إشهار، والدُّعاء برفع الصَّوت أو بخفضِه

البغضُ والمقتُ والكرهُ:

البُغض: هو نِفار النَّفس عن الشَّيء الَّذي ترغب عنه، وهو ضدُّ الحبِّ، وإذا وُصِفَ اللهُ تعالى به؛ فالمرادُ به ما يقتضي العقاب، وأمّا المقتُ؛ فهو البغضُ الشَّديد، أو هو أشدُّ البغض لمن تراه يتعاطى القبيح، فلا يُقال: المقتُ إلّا والممقوت يفعل القبيحَ، ممّا يقتضي

المقتُ يكون في فعل القبيح مِنَ الأفعال، ويقتضي البُعد، ففارقَ البُغضَ والكُره

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 96.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 38، والراغب، المفردات وجبل، المعجم الاشتقاقي: (دعا).

غضبَ الماقت على الممقوت، ولهذا استُعمِل لفظُ المقتِ في قولِه تعالى: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾؛ للإشعار بقبحِ ما يفعلون؛ إذ يردّون الإيمان الَّذي دعاهم إليه الرُّسل، ويستمرّون على كفرِهم، وأمّا الكرهُ؛ فهو في الأصل ما يعافُهُ الإنسان من حيثُ الطَّبعُ أو مِن حيثُ العقلُ والشَّرع، أي: لا يرغبه، ولا تقبله النَّفس، ولهذا يصحُّ أن يقول قائل: إنّي أريده، وأكْرَهُهُ، بمعنى: أنّي أريده مِن حيثُ الطَّبعُ، وأكرهه من حيث العقلُ أو الشَّرع، أو أريده مِن حيثُ العقلُ أو الشَّرع، وأكْرَهُهُ من حيث الطَّبعُ، ومِن الكُره الَّذي هو عدم قَبولِ النَّفس للشَّيء جاء لفظ الإكراه، وهو المشقَّة الَّتي تنال الإنسان مِن خارج مِمّا يُحمل عَليهِ من غير رغبةٍ منه ولا قَبول لنفسِه له، والكَراهَة تُستَعمل فيما لا يُستَعمل فيهِ البغض والمقت، فيقال: أكرهُ هَذا الطَّعام، ولا يُقال: أبغضُهُ، أو أمقتُهُ، كَما تَقول: أحبُّه، والمراد أنّي أكره أكله[1].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 129، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (بغض، كره، مقت).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»